قضية " الصراري " وحلفاء الغفلة

من تحريم الغناء والموسيقى إلى تحريم مساواة دية القتيلة بالقتيل(4)

ثمّـة نفير صاخب صدّع به رؤوسـنا شـيوخ وملالي ونواب وخطباء حـزب ((الإصلاح)) وَمنْ وَالاهُمْ ، سـواء أثناء التحضيرات لمهرجان عـدن الفني الأول في فبراير الماضي، أو عند إحالة مشـاريع تعديل القوانين التي تكرس التمييز ضد المـرأة من قبل الحكومة إلى مجلس النواب في مارس الماضي أيضا.

بوسع الذين تابعوا هذا النفير سواء من خلال الفتاوى أو خطب الجمعة أو الندوات أو المقالات التي نُشـرت في صحف حزب ((الإصلاح)) واخواتها ، ملاحظة مدى هشاشـة وسـطحية خطاب التحريم الذي يجري تسـويقه علينا بأسـلوب أوامري يستوجب السـمع والطاعة فقط ، ويرفض النقـاش والنقد .. وهـو ما يدحض مزاعم القيادي الاشـتراكي علي محمد عبده (الشـرماني-الصـراري) الذي لـم يكتفِ بالتهافـت على مروجي خطـاب التحريم والسـعي لتجميل وتلميع صورتهـم، بل أنّـه أفرط في تهافتـه إلى حد الزعم بـأنّ حزب (الإصلاح) الـذي يقود حملات التحريم ضد الغناء والموسـيقى ومسـاواة دية القتيلـة بالقتيل ، وإلى جانبـه حليفه الأطرش الأبكم ((الحزب الاشتراكي اليمني)) - الذي يلتزم الصمت والصنج إزاء هذه الحملات الظلامية- هما الحزبان الوحيدان اللذان يعول عليهما لبناء دولة مدنية حديثة بحسـب قول الصراري في صحيفة (الثوري) !!

أحمد الحبيشي

المثير للدهشة أنّ الذين تبنوا حملة تسويق خطاب التحريم المناهض للغناء والموسيقى، استندوا إلى آراء فقهية تندرج ضمن أسوأ ما ورثناه في كتب التراث القديمة ، ولا تجد لها أساساً في القرآن أو السنة النبوية الصحيحة.. ناهيك عن أن هذه الآراء المتخلفة تعرضت للنقد والخلاف من قبل مشاهير الفقهاء الأسلاف والمعاصرين بدءاً بأبي حامد الغزالي ومروراً بابن حزم والفارابي وابن رشيق والجاحظ وابي اسحاق الموصلي وانتهاءً بشيخ الأزهر الدكتور محمد طنطاوي والدكتور يوسف القرضاوي ، بما في ذلك الأحاديث التي نسبها الوضّاعون إلى رسول الله ، وجميعها كما وصفها ابو حامد الغزالي وابن حزم والقرضاوي مثخنة بالجراح، لم يسلم منها حديث من طعن فقهاء الحديث وعلمائه ، مع الأخذ بعين الاعتبار، أنّ ما ينطبق على حملة تحريم الغُناء والموسيقى التي قادها شيوخ وملالي حزب ((الإصلاح)) وجامعة الإيمان في فبراير الماضي ، ينطبق أيضاً على الحملة المسعورة التي يشنها هؤلاء حالياً على مشاريع التعديلات التي تقدّمت بها الحكومة للقوانين التي تكرس التمييز ضد المرأة وبضمنها مساواة دية القتيلة بالقتيل تنفيذا للبرنامج الانتخابي لفخامة رئيس الجمهورية الذي حاز على ثقة الأغلبية الساحقة من الناخبين في الانتخابات الرئاسية لعام 2006م ، وهو ما سنأتي إليه في العدد القادم بإذن الله .

القيـادي الاشـتراكي علـي الصراري لـم يكتفِ بالتهافـت على مروجي خطاب التحريم والسـعي لتجميل وتلميـع صورتهم ، بل أفرط في تهافته إلى حد الزعم بأنّ حزب (الإصلاح) الذي يقود حملات التحريـم ضد الغناء والموسـيقى ومسـاواة دية القتيلة بالقتيل ، وإلى جانبه حليفه الأطرش الأبكم (الحزب الاشتراكي اليمني) — الذي يلتزم الصمت والصنج إزاء هذه الحملات الظلامية—هما الحزبان الوحيدان اللذان يعول عليهما لبناء دولة مدنية حديثة بحسـب قول الصراري في صحيفـة (الثوري) !!

لعل أطـرف وأغـرب ما قرأته في النفير المعادي لمهرجان عدن الفني الأول جاء على لسان الشيخ محمد الحزمي الخطيب والنائب عن حزب ((الإصـلاح)) الذي هاجم المهرجان وأسرف في تحريم الغناء والموسيقى بعبارات لا تخلو من النقل النصّي التبسيطي عـن الكتب الفقهية القديمة، ثمّ تساءل عما قدمته الأغنية خلال سبعين عاماً !!

والثابت أنّ الحزمي لم يكن عفوياً عندما حدد فترة السبعين عاماً، لأنّه كان يقصد بكل وضوح المسافة الزمنية الفاصلة بين الحملة التي شنها النظام الإمامي الكهنوتي في أواخر الثلاثينات ضد الغناء والموسيقى والمشانق التي نصبها في باب السباح بصنعاء القديمة للآلات الموسيقية استناداً إلى فتاوى أصدرها آنذاك كهنة النظام الإمامي البائد، وبين محاولة إحياء تلك الفتاوى على أيدي كهنة وشيوخ وملالي حزب ((الإصلاح)) وجامعة الايمان — بعد سبعين عاما من فشلها — في سياق النفير المعادي لمهرجان عدن الفني الأول الذي أحيته الفنانة السورية الكبيرة ((أصالة)) والفنان المصري عصام كاريكا وفرقتاهما الموسيقيتان الشهيرتان في فبراير الماضي .

الإجابة عن سؤال الخطيب والنائب (الاصلاحي) محمد الحزمي واضحة وقوية .. فقد قدّمت لنا الأغنية اليمنية الكثير مما يستحق الفخر والاعتزاز به ، خلال السبعين عاماً الماضية بدءا بالأغاني التي أسهمت في تعميق الوعي الوطني الوحدوي، وتعظيم زخم الكفاح الشعبي ضد الاستبداد والاستعمار ومن أجل الحرية والديمقراطية والتقدم والوحدة ، وانتهاء بالأغاني التي أسهمت في بناء الوجدان الاجتماعي وتعميق قيم الحب والوفاء للوطن والثورة والإنسان والأم والعائلة والعمل والأرض .

ربما لا يهم الحزمي وغيره من شيوخ وملالي وخطباء حزب ((الإصلاح)) وجامعة الايمان ماذا يعني أن تقدّم لنا الأغنية اليمنية خلال سبعين عاماً تراثاً فنياً زاخراً بالعطاء والابداع والتميز من موسيقى الدان الى موسيقى البالة، ومن الايقاع الصنعاني والتهامي الى الايقاع اللحجي والحضرمي و اليافعي.

ربما لا يهمهم ماذا يعني أن تقدم لنا الأغنية اليمنية خلال سبعين عاماً رصيداً فنياً رائعاً يعتز به شعبنا مثل أغنية جيشنا يا ياجيشنا .. ويا قافلة عاد المراحل طوال وأنا الشعب ، وبرع يا استعمار ، ويا عيباه ، والشوق أعياني ، وعليك سموني وسمسموني ، ويوم الأحد في طريقي، وحبوب لا تغضب ، ويا جانيات العناقيد ، ويالله بنا يا شباب الجو الأروع تهيأ ، ومن كل قلبي أحبك يا بلادي.. وعن ساكني صنعاء حديثك هات يا فوج النسيم .. وعدن عدن يا ريت عدن مسير يوم.. ويا رب من له حبيب لا تحرمه من حبيبه.. وارجع لحولك كما دعاك تسقيه ، وخطر غصن القنا ، ودعوة الأوطان ، وأحبة ربى صنعاء ، وبا نلتقي في سعاد ، وغيرها من الأغاني التي تقدم أروع صور التوحد بين الإنسان والأرض .

وربما لا يهم الشيخ الحزمي وأمثاله من شيوخ وملالي وخطباء حزب ((الإصلاح)) وجامعة الايمان ماذا يعني أن تقدم لنا الأغنية اليمنية رصيداً غنائيا وموسيقيا إبداعياً رائعاً صاغته أنغام وأنامل وحناجر مشاهير الغناء والموسيقى في اليمن ، أمثال الموسيقار الراحل أحمد بن قاسم ومحمد مرشد ناجي وعلي السمة، وأحمد السنيدار ومحمد حمود الحارثي ومحمد سعد عبدالله وفرسان خليفة وأبوبكر سالم بلفقيه واحمد يوسف الزبيدي ومحمد محسن عطروش وأحمد بن غوذل وأيوب طارش وصباح منصر وأمل كعدل ويوسف احمد سالم واسكندر ثابت وخليل محمد خليل وسالم بامدهف وغيرهم . بالإضافة إلى شعراء الأغنية أمثال محمد عبده غانم ومحمد سعيد جرادة ولطفي أمان ومطهر الإرياني وأحمد عبدالوهاب الفضول وعباس الديلمي وعبدالله عبدالكريم وعبدالله هادي سبيت وغيرهم من عمالقة الغناء والموسيقى والشعر الغنائي في اليمن.

النفير المعـادي لمهرجان عدن الفنـي احتوى على غثاء كثير مما أسـماه شـيوخ وملالي وخطباء حزب ((الإصلاح)) وجامعة الإيمان أدلة شرعية على تحريم الغناء والموسيقى.. وقد تمحورت جميع ((أدلتهم)) البائسـة حول آراء فقهية لا تعدو أن تكون سـوى روايـات منقولة عـن فلان وفلان في أزمنـة غابرة ، وأحاديث ضعيفة تعرضت جميعها — وبدون استثناء — للطعن والتجريح، وآراء فقهية تقوم على تفسير بعـض آيات القرآن مـن قبل بعض الفقهـاء الذين عملوا علـى تحويل آرائهم وفهمهـم لتلك الآيات إلى أحـكام مطلقة غيـر قابلة للخـلاف أو النقاش

من حق الشيخ الحزمي والذين على شاكلته من شيوخ وملالي حزب ((الإصـلاح)) وجامعة الايمـان أن يستهينوا بكل ما قدمته الأغنية اليمنية خلال سبعين عاماً.. ومن حق الأستاذ محمد قحطان أن يصدر فرماناً يقضي بأنّه ليس من واجب أي حزب سياسي أن يحدد موقفا من تحريم أو تحليل الغناء والموسيقى.. ومن حق الزميل والصديق (المعتدل والمستنير والليبرالي الاسلامي) نبيل الصوفي أن يطالب فقهاء وملالي حزبه بمراعاة ما أسماه (فقه الأولويات)، وعدم الاستعجال في حرق المراحل وكشف المستور !!

ولكن من حقنا أن ندافع عن تراثنا الغنائي والموسيقي، وأنْ نعتز برواد الغناء والموسيقى في اليمن.. وأن نتساءل عن مصير هذا التراث الرائع ورصيد هـؤلاء الـرواد العظام في حال وصـول حزب ((الإصـلاح)) إلى السلطة بما ينطوي عليه مشروعه السياسي والثقافي من مخاطر تهدد حق المجتمع في الغناء والاستمتاع بالموسيقى والفرح الإنساني، بما في ذلك المخاطر التي تنطوي عليها تصريحات محمد قحطان الذي يدعو إلى منع الأحزاب السياسية من تناول قضايا الغناء والموسيقى في برامجها الانتخابية بذريعة أنّـه لا يحق لها القول بأنّ الغناء حرام أم حلال؟.. حيث من يحق لهم ذلك هم شيوخ وملالي الإسلام السياسي لا غير .

المثير للدهشة أنّ النفير المعادي لمهرجان عدن الفني احتوى على غثاء كثير مما أسماه شيوخ وملالي حزب ((الإصلاح)) أدلة شرعية على تحريم الغناء والموسيقى.. وقد تمحورت جميع ((أدلتهم)) البائسة حول آراء فقهية لا تعدو أن تكون سوى روايات منقولة عن فلان وفلان، وأحاديث موضوعة تعرضت جميعها — وبدون استثناء — للطعن والتجريح، وآراء فقهية تقوم على تفسير بعض آيات القرآن من قبل بعض الفقهاء الذين عملوا على تحويل آرائهم وفهمهم لتلك الآيات إلى أحكام مطلقة غير قابلة للخلاف أو النقاش، وهو ما دفع معظم الفقهاء الذين يخالفونهم في تلك الآراء ، إلى القول بأنّه لا يجوز استخراج أي حكم من نص قرآني إلا إذا جاء صريحاً بصورة لا تقبل التأويل.. لأنّه إذا قبلنا التأويل ظهر الاحتمال، وإذا ظهر الاحتمال بطل الاستنباط والاستدلال. والثابت أنّ الفقهاء الأسلاف والمعاصرين اختلفوا حول تحريم الغناء والموسيقى ولم يحدث إجماع على الإطلاق بهذا الشأن أو بغيره من الشؤون، لأنّ القول بالإجماع يعد أكبر كذبة في التاريخ.

ومما له دلالة عميقة أنْ يتمحور الخطاب المناهض للموسيقى والغناء حول آراء فقهية تواترت خلال عصر الانحطاط الذي جاء عقب أفول شمس الحضارة الإسلامية في أواخر القرن الخامس الهجري الذي شهد في مطلعه ظهور أكثر الآراء الفقهية تشدداً وانغلاقاً على يد الإمام أبي حامد الغزالي . بيد أنّ فقه الغزالي على تشدده وتزمته وإنغلاقه لم يذهب الى تحريم الغناء والموسيقى على نحو ما قاله الفقهاء المتأخرون الذين تزامن ظهورهم مع تزايد انقطاع العالم الإسلامي عن المساهمة في صنع الحضارة، حيث ذهب فقهاء التحريم الى القول بأنّ الغزالي لم يكن يعرف علم الحديث الذي كان غائباً في فترة صعود الحضارة الإسلامية ثم برز وانتشر في فترة سقوطها ، وهي الفترة التي شهدت ترهل وتفكك نظام الخلافة الامبراطوري ، وظهور ملوك ودويلات الطوائف على أطراف دولة الخلافة!!

لا نبالغ حين نقول إنّ سيل أدلة التحريم الذي انطوى عليه نفير الخطاب السياسي لشيوخ وملالي حزب ((الإصلاح)) بشأن تحريم الغناء والموسيقى كان أشبه بالغثاء، لجهة هشاشة الاستدلالات التي تمّ اقتطاعها من بطون أسوأ ما ورثناه في تراثنا الفقهي القديم، وهو ما يمكن الرد عليه بآراء فقهية قديمة أيضا لمشاهير الفقهاء والفلاسفة الأسلاف الذين لم يتعاملوا مع الموسيقى كأنغام بل كعلم وصناعة للألحان على نحو ما جاء في العقد الفريد لابن عبدربه ، أو صناعة الإيقاع بحسب ما أورده الإمام السيوطي في (المزهر)، أو تأليف اللحون كما هو مبين في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ ، حيث قدم جميع هؤلاء الفقهاء والفلاسفة تعريفا للموسيقى يقول بأنها صناعة في تأليف النغم والأصوات ومناسباتها وإيقاعاته وما يدخل منها في الجنس الموزون والمؤتلف بالكمية والكيفية .. فيما أوضح أبو نصر الفارابي في (كتاب الموسيقى الكبير) أنّ الموسيقى والشعر يرجعان إلي جنس واحد هو التأليف و الوزن والمناسبة بين الحركة والسكون، مشيرا إلى أن الموسيقى والشعر صناعة تنطق بالاجناس الموزونة ، كما أن الفرق بينهما يتحدد في اختصاص الشعر بترتيب معاني الكلام على نظم موزون مع مراعاة قواعد النحو والصرف واللغة، وأما الموسيقى فهي تختص بمزاحفة أجزاء الكلام الموزون وإرسال أصوات على نسب مؤتلفة بالكم والكيف في طرائق تتحكم بالتلحين.

في هذا السياق تحدث الكثير من الفقهاء والفلاسفة والشعراء العرب عن الارتباط الوثيق بين الشعر والموسيقى والغناء أمثال ابن رشيق في (العمدة) والمرزباني وأبي إسحاق الموصلي في (الموشح).. وبوسع كل من يطالع هذه المؤلفات ملاحظة أنّ كلمات مثل (الترنم والترنيم والترتيل والترجيع والتغني والدندنة بما في ذلك الصنج والمزهر والقينة وغيرها من المفردات الغنائية الاصطلاحية وأسماء الآلات الموسيقية) ، لم تكن غريبة عن صناعة الشعر العربي منذ أقدم العصور، بل يمكن القول إنّ هذه المفردات كانت من صميم عمل الشعر العربي، لجهة الروابط بينها وبين أوزان الشعر، وهي روابط يتجسد فيها تركيب الأصوات وتلحينها وأداؤها في صورة جميلة تفسر قول أبي نصر الفارابي بأنّ ((الصناعة الشعرية هي قوام الهيئة الموسيقية وأنّ غاية هذه أن تطلب لغاية تلك)) ، راجع (كتاب الموسيقى الكبير 3 / 1093).

لا تخلو كتب الفقهاء الأسلاف الذين عارضوا تحريم الغناء والموسيقى من الاشارة الى أن حب الغناء والطرب للصوت الجميل يكاد يكون غريزة إنسانية وفطرة بشرية، حيث اشار معظمهم الى أن الصبي الرضيع في مهده يسكته الصوت الطيب عن بكائه، وتنصرف نفسه عما يبكيه إلي الإصغاء إليه . ولذا تعودت الأمهات والمرضعات والمربيات على الغناء للأطفال منذ زمن قديم، فيما ذهبت أحدث الدراسات والأبحاث العلمية الى التأكيد على أن الموسيقى تنمي الذكاء عند الأطفال . بل أن الأصفهاني قال في كتاب (الأغاني) إن الطيور والبهائم تتأثر بحسن الصوت والنغمات الموزونة فيما قال الغزالي في كتاب (إحياء علوم الدين): (من لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور وجميع البهائم، إذ الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثر ًا يستخف معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر — لقوة نشاطه في سماعه — المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه. فترى الإبل إذا سمعت الحادي تمد أعناقها، وتصغي إليه ناصبة آذانها، وتسرع في سيرها، حتي تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها) .. فهل يعقل بعد كل هذا الكلام أن يحرم الله ما فيه فائدة للانسان والحيوان الذي يخدم الانسان ؟!!

ويبقى القول أن الغناء بوصفه غريزة وفطرة يثير سؤالا مشروعا عما إذا كان الدين بحسب دعاة التحريم قد جاء لمحاربة الغرائز والفطر والتنكيل بها ؟ مع الأخذ بعين الاعتبار أن هناك من يرد على ذلك بالنفي القاطع انطلاقا من حقيقة أن الدين جاء لتهذيب الغرائز والسمو بها، وتوجيهها التوجيه القويم بحسب قول الإمام ابن تيمية (ان الأنبياء قد بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتبديلها وتغييرها). ومصداق ذلك أن رسول الله -ـ صلى الله عليه وسلم — قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: "ما هذان اليومان؟" قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية: فقال عليه الصلاة و السلام: "إن الله قد أبدلكم بهما خير ًا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر" رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

في جـزء سابق من هـذا المقال أوضحت الطابع الحزبي والسياسي لآراء ووجهات نظر ملالي وشيوخ حزب ((الإصلاح)) الذين يمارسون السياسة والعمل الحزبي بامتياز، وأنكرت عليهم إصرارهم على إلزام الآخرين بالخضوع لأهوائهم ووجهات نظرهم الحزبية والسياسية، بذريعة أنّ ما يصدر عنهم هو أحكام الدين، وأنّ ما يجب على غيرهم هو الطاعة والالتزام بتنفيذ أوامرهم ونواهيهم لأنّهم يتحدثون باسم الله ورسول الله وحراس للدين والأخلاق في الدنيا.

ما ينطبق على حملة تحريم الغـناء والموسيقى التـي قادها شـيوخ وملالي حـزب ((الإصلاح)) وجامعة الإيمـان في فبرايـر الماضي، ينطبق أيضاً على الحملة المسعورة التي يشنها هؤلاء حاليـاً على مشـاريع التعديلات التـي تقدّمت بهـا الحكومـة للقوانين التي تكـرس التمييز ضـد المرأة ، وبضمنها مسـاواة ديـة القتيلة بالقتيل تنفيـذاً للبرنامج الانتخابي لفخامة رئيس الجمهورية الذي حاز على ثقة الأغلبية الساحقة من الناخبين في الانتخابات الرئاسية لعام 2006م

إنني أتفهم الدوافع السياسية والحزبية لشيوخ وخطباء وملالي حزب ((الإصلاح)) لجهة حبهم لحزبهم وحرصهم على تمكينه من الوصول إلى السلطة ومنع الحزب الحاكم وحكومته من تنفيذ البرنامج الانتخابي لرئيس الجمهورية بما هو مرشح حزب الأغلبية الذي فاز بأغلبية أصوات الناخبين، بما ينطوي عليه هذا البرنامج من مهام واضحة تؤكد على حماية وتطوير التراث الغنائي والموسيقي ورعاية الفنانين والموسيقيين .. لكنني لا أتفهم ولا أقبل التدليس والتلبيس الذي يلجأ إليه الخطاب السياسي لشيوخ وملالي حزب ((الإصلاح)) في سعيه لإقحام الدين في المعارك السياسية التي يخوضها حزبهم من أجل منع أو عرقلة تنفيذ البرنامج الانتخابي لرئيس الجمهورية بذرائع التحريم والتكفير.

ليقل هؤلاء ما يشاؤون لإقناع أنفسهم وأتباعهم بأنّ الغناء والموسيقى والتصوير والفنون حرام وكفر بواح على غرار ما كانت تدعو إليه حركة ((طالبان)) بعد وصولها إلى الحكم في أفغانستان.. وليقل هؤلاء ـ أيضا ـ ان ما تفعله كافة الحكومات العربية والإسلامية وحكومة المؤتمر الشعبي العام في اليمن هو كفر بواح وامتناع عن تطبيق (شريعة طالبان) عندما لا تمنع الناس من الاستمتاع بالغناء والموسيقى، ولا تغلق التلفزيون والمسارح ودور السينما ولا تحطم الآلات الموسيقية ولاتطارد الفنانين والمشتغلين في مجال الغناء والموسيقى، ولا تغلق أو تحرق محلات التسجيلات الغنائية والموسيقية !!

من حقهم أن يقولوا ما يشاؤون .. وأنْ يعتقدوا بما يشاؤون .. وأنْ يعيشوا حياة الجاهلية الأولى والعصور الغابرة .. لكن ليس من حقهم إجبارنا على الاعتقاد بأفكارهم وآرائهم المنغلقة.. وممارسة نمط الحياة (الطالبانية) التي يدعون اليها ، وإنكار حقيقة أنّ الموسيقى والغناء أسمى الفنون وأكثرها التصاقاً بآيات الله على نحو ما قاله البروفيسور محمد الشرفي في حوار نشرته صحيفة ((22 مايو)) في عددها الصادر يوم 19 / 2 / 2004م عندما استشهد بالفارابي الذي وصف الموسيقى بأنها أشرف صنوف الفلسفة ، مشيراً إلى أنّ شرف الموسيقى يعود إلى سببين أولهما أنّ الموسيقى صوت، والصوت ظاهرة لازمة ونتيجة حتمية لا تنفك عن الحركة، فكل حركة صغرت أو كبرت لها بالضرورة صوت . والصوت يأتي ظاهراً عالياً ، والموسيقى هي الصوت ، وهي الحركة بمعنى أصل الوجود.. أما السبب الثاني لفضل الموسيقى وشرفها فهي أنّها تدرك حاسة السمع، وحاسة السمع تعتبر أهم الحواس وأشرفها وأنقاها وأدقها وأقواها وأقدرها إدراكاً لذبذبات الحركات الصادرة، موضحاً أنّ العلم الحديث قدم تعريفاً للفن كمصطلح إبداعي بوصفه التعبير الراقي عن حياة الفكر وحياة الشعور في آنٍ واحدٍ حيث قام البروفيسور الشرفي بتحديد أجمل أنواع الفنون على النحو التالي :

1 ـ الفنون السماعية : وهي التعبير عن الحركة وأهمها الموسيقى وما يتفرع منها من ألحان طبيعية وصوت جميل وآلات عزف مصنوعة، ونصوص أدبية وشعرية ونثرية وغناء.

2 ـ الفنون المرئية الموسومة كالخط والرسم والتصوير وفنونه المختلفة.

3 ـ الفنون التمثيلية كالرقص والدراما والكوميديا والمسرح والسينما والتلفزيون.

4 ـ الفنون التجسيمية كالنحت.

وتبعاً لذلك يـرى البروفيسور الشرفي أنّ الكون يتجه إلى الله تعالى خالق الإنسان والكون، حيث صار من العلم الراسخ أنّ دماغ الإنسان يحتوي على مائة مليار خلية عصبية وعشرة أضعاف ذلك من الخلايا الجدارية.

وبحسب البروفيسور الشرفي فإنّ علماء الكونيات والفيزياء يرون بأنّ الكون يحتوي على مائة مليار نجم، وكأنّ ما كل ذرة في الكون تتمثل في دماغ الإنسان، وأنّ الكون كله يسير بموسيقى حركية متناغمة الإيقاعات مع النشاط الحيوي الإنساني وهو يتجه قاصداً غاية واحدة أسموها (فيزياء الخلود) التي وصفها العلماء المعاصرون بأنّها أروع تجسيد للتلازم بين الفن والعلم والروح والعواطف السوية ، وما يترتب على ذلك من طاقة عقلية معرفية وطاقة شعورية.. وهو ما دفع البروفيسور الراحل محمد الشرفي إلى القول، بـأن المـوسيـقـار صـاحـب قـدرة استشعارية وحدسية تسبق مجتمعه وبيئته ، وان الناس يتعلمون العلم ويمارسون أفانين الفنون بما فيها فنون الغناء والموسيقى ويوجهونها لكي يستعينوا بكل ذلك على تنغيم حياتهم مع البيئة التي يعيشون فيها .. فالعلم عند الشرفي علمان.. علم الدين وعلم الظواهر المادية الطبيعية.. والدين عنده هو آيات الله التدوينية كما جاء في قرآنه الكريم.. وآيات الآفاق والأرض هي آيات الله التكوينية .. وهي علم الظاهر، أما الإنسان فهو آية الله التبيينية، وهو علم الباطن، وهو قارئ ومقروء.. ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون)) ..وهو الذي يتجه الى الله الذي خلق له حاسة الذوق والشم وهما حاستان كيميائيتان ، ثم خلق له السمع وهو لمس ذبذبات الأمواج الصوتية الصادرة عن الحركات الى طبلة الأذن وتحويلها الى موجات كهربائية تسري في الأعصاب فتدخل المراكز الدماغية المتخصصة وتدركها . ثم خلق له النظر وهو الحاسة الارقى التي تنطوي على لمس متخصص للاشعة الشبكية الضوئية عبر العين ، وكل ذلك يتم في تناغم وايقاعات موسيقى الأعصاب وذبذباتها الكهروكيماوية التي يريد خطاب التحريم حرماننا منها .. وكل ذلك ينبغي أن نفهمه أيضا ـ بحسب البروفيسور محمد الشرفي — في إطار تناغم إيقاعات حركات موسيقية علوية .. فكل الكون لانشاز فيه أصلا، لأنّه مظهر لقدرة الله تبارك وتعالى.. ويا سبحان الله الخالق البديع .

عن / صحيفة (26 سبتمبر)

مصنع نسيج عدن

فيصل الصوفي

يوم الاثنين الماضي كنت أنا والزميل عبدالحكيم عبيد في مكتب مدير مؤسسة الغزل والنسيج وهي مختصرة في ذلك المصنع المعروف في طرف المنصورة جهة الشيخ عثمان هذا المصنع عمره نحو 35 سنة حيث أنشأه الصينيون في ذلك الوقت، وكان خلال السنوات العشر الأولى ينتج الكساء والأزياء التي يحتاجها السوق.. الآن كما قال لنا علي السيد ينتج المصنع "شاش ومريكني" ليس غير! ويقول الرجل كلاماً مخوفاً إذ أن هناك من يريد إماتة هذا المصنع أو اجتثاثه من الأساس ليبقى مكانه مجرد أرض فسيحة قابلة للسطو.. وهو يفسر الأمر أو يحلل الوضع على هذا النحو استناداً إلى عدم تجاوب الحكومة مع مشروع الأفكار التي قدمت لإعادة تأهيل هذا المصنع وجعله ينتج.

الحكومة تحتاج إلى نحو 20 مليون دولار لتحديث المصنع، باعتبار أن المبلغ المطلوب لاستبدال الآلات والإصلاح كبير.. حسناً، إذا هناك بدائل، يقول علي السيد إن مستثمرين محليين وخليجيين لديهم استعداد لتحديث المصنع مقابل تمكينهم من استغلاله لمدة سنتين وأن تبقى الإدارة بيد الحكومة، ومع ذلك هي لا تهتم لهذا العرض المغري بل هي لم تعط نفسها فرصة دراسته أو تبادل النقاش حوله! وإن صح كلام علي السيد ـ ولا أشك في صدقه ـ فهذا يعني أن تحليله أقرب إلى الصواب، وأن هناك مؤامرة تحاك إما لخصخصة المصنع ورمي عماله وعاملاته إلى الشارع، كما حصل لعمال مؤسسات أخرى تمت خصخصتها بسعر التراب، أو أن أحداً ما أو مجموعة ما تريد انهيار المصنع كلياً وضرب ما تبقى لديه من قدرة على إنتاج "الشاش والمريكني" لإيجاد مبرر لاجتثاثه والسيطرة على الأرض التي يقع عليها. وفي الحالتين هذه المؤامرة أكانت حقيقية او محتملة أو مفترضة ينبغي قطع الطريق عليها وحشد كافة الضغوط على الحكومة لتحديث المصنع من قبلها أو بالمشاركة مع القطاع الخاص، لأن مسألة اللباس مسألة وطنية.

من حقنا أن ندافع عن تراثنا الغنائي والموسيقي ، وأنْ نعتز برصيد روّاد الغناء والموسيقى في اليمن.. وأن نتساءل عن مصير هذا التراث الرائع ورصيد هؤلاء الرواد العظام في حال وصول حزب ((الإصلاح)) إلى السلطة بما ينطوي عليه مشروعه السياسي والثقافي من مخاطر تهدد حق المجتمع في الغناء والاستمتاع بالموسيقى والفرح الإنساني، بما في ذلك المخاطر التي تنطوي عليهـا تصريحات محمد قحطان الذي دعـا إلى منع الأحزاب السياسـية من تنـاول قضايا الغناء والموسـيقى في برامجها الانتخابية بذريعة أنّـه لا يحـق لها القول بأنّ الغناء حـرام أم حلال !!